

□□ يقول الأديب الإسباني [غيبيرمو غونثالييث بوسطو] . إن الحضارة العربية قد جعلت من إسبانيا أمة أوروبية ذات خصائص متميزة .
 ويقول المفكر الإسباني الكبير [إميركو كاسترو] في كتابه الرابع (حقيقة إسبانيا التاريخية) .
 على أولئك الذين لا يريدون أن يخطئوا عندما يصدرون أحكاماً على الأدب الأيبيري أن يعرفوا ما كان يحدث في الجانب العربي من إسبانيا .
 ويقول الكاتب الإسباني الكبير [بلاسكو إيبانيث] في كتابه (في ظل الكانترانية) . في إسبانيا لم تات النهضة من الشمال مع الجحافل الهمجية . وإنما أنت من الجنوب مع الفاتحين العرب . لقد كانت حملة حضارية أكثر مما كانت غزواً : ومن هنا أنت إلينا هذه الثقافة الشبابية القوية . سريعة التقدم بطريقة مذهلة . والتي ما تكاد تولد حتى تتفوق . هذه الحضارة التي ابدعها الحماس الديني . . . □□

تأثير الإسلام والأدب العربي في

١٤٩٢م . حتى اصدرت اسبانيا قرارها الشهير بنفيهم من اراضيها في سنة ١٦٠٩م .

وفي خلال هذه الحقبة الطويلة عانى أولئك الموريسكيون . الواناً مروعة من الاضطهاد المدني والديني . ومن مطاردة ديوان التحقيق الإسباني . وارغموا على ترك لغتهم العربية . واتخاذ القشتالية لغة للتخاطب والتعامل . واتخذوا لهم لغة سرية خاصة هي لغة الالخميدو . الشهيرة وهي القشتالية المحرفة تكتب بحروف عربية ليستطيعوا ان يحتفظوا بترائهم الديني القديم . .

نعم لقد سقطت الأندلس . وطورد المسلمون قتلاً وتشريداً وتنصيراً . وكانت الكنيسة رانماً على أمة الاستعداد لاغتنام أية فرصة تواتبها لدفع التصاري إلى محاربة المسلمين وإخراجهم من هذه الأرض مهما كلف الثمن : أما عن العرب المتضررين . فرغم كل ما اتخذته إسبانيا النصرانية من وسائل القهر والإرغام في تنصيرهم . بقوا مسلمين في سرائرهم يذهبون إلى الكنائس مرغمين . متوجسين مما ينالهم من سوء العذاب . على يد محاكم التحقيق (التفتيش) إذا لم يحضروا القُداس . أو إذا علقت بهم أية شبهة في صدق اعتناقهم للدين المسيحي . ورغم كل هذا . وجد الموريسكيون في لغة الالخميدو . متنفساً لتفكيرهم وأدابهم القديمة . ولادعيتهم وصلواتهم وكتبهم الدينية . وقد تركوا تراثاً أدبياً من النثر والنظم . ويرى النقاد الإسبان أن هذا التراث ترك أثره في اللغة الإسبانية . وفي الشعر الإسباني . وفي الأفكار الدينية وغيرها . وقد نوه غير واحد من الكتاب والشعراء الإسبان بما كان عليه الأدب الموريسكي .

هذه شهادة لثلاثة من أكبر المفكرين الإسبان عن دور الحضارة العربية الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية . التي رفرغت عليها رايأ الإسلام مدة ثمانية قرون . كانت فيها اللغة العربية لغة العلم والحضارة . انطلاقاً من السلطان السياسي المستقل الذي مهد لهذا السلطان الحضاري الشامل . وكانت الفترة الإسلامية للأندلس في العهد الذهبي . مثالاً حياً من حضارة العرب المسلمين في القارة الأوروبية عامة . وفي إسبانيا خاصة .

فقد كانت الأندلس العربية الإسلامية مدرسة الغرب في قرونهم المظلمة . وعاش اليهود والنصارى في أمن وطمأنينة طوال الحكم الإسلامي الزاهر . يقول [دوزي] المتخصص في الحضارة الأندلسية : « إنه لم يكن في كل الأندلس أمي يوم لم يكن في أوروبا من يعرف القراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القساوسة » .

وقد خلف هذا الاتصال الطويل آثاراً بعيدة في الأوروبيين . كما دهش هؤلاء من حضارة المسلمين في بلادهم . وشهدوا أموراً كثيرة لا عهد لهم بها . فقد رأوا في الأندلس شعباً متقفاً فيه كثير من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة والفنانين .

الموريسكيون والاضطهاد الكنسي :

من هم الموريسكيون ؟

يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان عن الموريسكيين :
 « هم العرب المنتصرون من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة . وهم الذين عاشوا تحت الحكم الإسباني . بعد إرغامهم على التنصر زهاء قرن من الزمن . منذ سقطت غرناطة آخر حواضر الإسلام في الأندلس في أيدي الإسبان سنة

□ اتخذ الموريسكيون (المسلمون الذين أرغموا على التنصر) لغة سرية خاصة هي لغة « الأخمياو » الشهيرة وهي القشتالية المحرفة تكتب بحروف عربية ليحتفظوا بتراثهم الديني .

□ إنه لم يكن في كل الأندلس أمي يوم لم يكن في أوروبا من يعرف القراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القساوسة .

« دوزمي »

في الثقافة الأسبانية

الاستقرابية النصرانية وحاشية الملوك بالترجمة ، فنقلت بعض المؤلفات الأدبية العربية إلى اللغات اللاتينية ومع بداية النهضة الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر [العصر الذهبي للنهضة الأدبية الإسبانية] خفت حركة الترجمة ، واعتنت الجامعات الإسبانية خصوصاً بدراسة اللغة العربية ونشر القواميس اللغوية ، واعتني كذلك لأول مرة بتصنيف المخطوطات العربية في قصر - الإسكوريال - وخلال القرن الثامن عشر بُعثت حركة الترجمة من جديد وكتبت عدة دراسات عن العلوم والأدب العربي ، الشيء الذي مكن خلال القرن التاسع عشر من ظهور ثقافة عربية إسلامية ناضجة والتي لا تزال تعتمد عليها مدارس المستعمرين والمستشرقين في هذا العصر .

، والمستعربون الإسبان هم عبارة عن سلسلة متلاحقة بدأت في القرن التاسع عشر . وقد أسس هؤلاء ما يُدعى الآن [بمدرسة الاستعراب الإسباني] - من أقطاب هذه المدرسة في القرن التاسع عشر العلامة [كوديرا] ولذلك يسمى أبناء هذه المدرسة في إسبانيا اليوم : [بنو كوديرا] وهي مدرسة كان منها المستشرق الكبير [ميغيل إسبين بلاثيوس] الذي كتب عن تأثير التصوف النصراني ، كما كتب عن [آثار الإسلام] و [الإسلام المتقصر] و [ابن عربي] أضف إلى هذا مجموعة من الدراسات عن أدباء وشعراء أندلسيين آخرين .

وبعد بلاثيوس يأتي [اميليو غارسيا كوميث] الذي بحث في الأدب الأندلسي وخصوصاً الدراسة التي خصصها للشاعر الأندلسي الشعبي [ابن قزمان] . وهناك عدد من الباحثين المستعربين يبذلون مجهوداً جباراً في ميدان البحث والترجمة



○ لوركا ○



○ محمد عنان ○

○ لقد على الموريسكيون الواثماً مروعة من الاضطهاد الديني ○

الإسبان والتراث العربي الإسلامي ..

اشتهرت إسبانيا منذ أقدم العصور ببراعتها في الترجمة ، وعندما استولى الملوك النصارى على الحكم في الأندلس كان أول عمل قاموا به هو استئناف حركة الترجمة . وقام [الفونسو العاشر] الملقب [بالعالم] بتأسيس مدرسة المترجمين في مدينة طليطلة لنقل الكتب العربية القيمة بالأندلس إلى اللغة الإسبانية الناشئة آنذاك ، وأسندت هذه المهمة إلى علماء مسلمين ويهود وقعوا في الأسر ، فعهد إليهم ملك قشتالة بتعليم اللغة العربية للطلبة النصارى والقيام بترجمة كتب العلوم . وقد قام أولئك العلماء بالمهمة المسندة إليهم على أحسن وجه ، فكان فضلهم على النهضة الإسبانية عظيماً . ولم يقتصر إشعاع ترجمة الفلاسفة والأطباء والعلماء العرب على إسبانيا بل امتد إلى جميع أوروبا ، وكان السبب الرئيسي في رفع مستوى العلوم الجامعية الأوروبية خلال مدة وجيزة ، وابتليت

تأثير الإسلام والأدب العربي في الثقافة الأسبانية

■ كتاب « الحب المحمود » لكاهن مدينة « هيتا » نسخة عن كتاب طوق الحمامة لابن حزم .

التأثير اللغوي والأدبي في الفكر الأسباني

أما التأثير اللغوي ، فقد ذكر الباحثون أن المفردات العربية التي دخلت إلى اللغة الأسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الأسباني . كما استمد الأسبان - حسب قول ليفي بروفنسال - معظم أسماء الرياحين والأزهار من العربية . كما أن مجموعة المصطلحات التي تستعمل في الري تقريباً هي كذلك من أصل عربي .

ونذكر هنا بعض الألفاظ العربية التي دخلت الأسبانية وَغَرَّبَهَا في ميادين شتى . [وقفت على هذه المفردات في أصلها الأسباني في القاموس اللغوي الصادر عن الأكاديمية الملكية الأسبانية] [A.R.E = DICCIONARIO MANUAL]

الكلمة العربية	الاسبانية	العربية	الاسبانية
الفارس	ALFAREZ	العود	ALAUD
القائد	ALCAIDE	المخدة	ALMOHADA
البناء	ALBANIL	الديوان	ALDUANA
الغارة	ALGARA	الساقية	ACEQUIA
البرنس	ALBORNOZ	البركة	ALBERCA
الكافور	ALCANFOR	القصة	ALCAZBA
الكحول	ALCOHOL	الحناء	ALHENA
الغاسول	ALGAZUL	المسك	ALMIZCLE
المخزن	ALMACEN	القفة	ALCOFA
المنارة	ALMINAR	الزيت	ACIETE
الطابق	TABIQUE	العقرب	ALACRAN
السطوح	AZETEA	القاس	ALFAZ
الفرس	ALFARAZ	العد [كيل قديم]	ALMUD
القلعة	ALCALA	المخجلة	ACOHOLERA
القطن	ALGODON	المغصرة [الزيتون]	ALMAZARA

أما التأثير الأدبي فيمكننا أن نقول : إن نصيباً هاماً من النتاج الأدبي الأسباني خلال القرون الأربعة الأخيرة ، كان موقوفاً على التغني بآثار الحضارة العربية بالأندلس في مختلف الميادين ، ومقصوراً على بحث تلك الآثار وإشاعة روح الاهتمام ، بل والاعتزاز بها . ويرى الأستاذ عبد اللطيف الخطيب أن الذوق الشعري الأسباني ذوق يغلب عليه الطابع العربي الخالص . وإن كان لا يتأثر به بصورة كلية عامة . فما

[كبيدرومارتينيث مونتابيث] و [فيديريكو كوبينطي] و [فيرناندو دي لاكرانخا] مدير المعهد الأسباني العربي للثقافة بمدريد ، و [كارمين رويث] و [فيرناندو دي اكريدا] و [سيرافين فانخول] وغيرهم كثير .

أثر الإسلام في الحياة الأسبانية

يقول الكاتب الأسباني [خوان فرنيطي] في كتابه [المسلمون الأسبان] :

« إنه من العسير جداً أن نحدد مدى التأثير الإسلامي في الجزيرة الأيبيرية . ذلك أن الأندلس كانت دائماً هدفاً للهجرات الشرقية مما يكون له أثره فيما قبل الإسلام بكثير . على أن هناك أشياء ماثلة لا يمكن الشك في أنها إسلامية . وذلك ما هو موجود في اللغة من ألفاظ وتعبيرات ، وعادات ، مثل [oja] التي هي إن شاء الله ومثلها ... [Si Dios quiere]

كما أن اعتبار الدين شيئاً جوهرياً في الحياة . ما هو إلا من تأثير الإسلام . ويضيف قائلاً : إن ما نقله الإسلام إلى أسبانيا له وزنه الهام ، في تكوينها وإنعاشها ، كما أن له تأثيراً غير مباشر في الناحية الروحية . أما في الناحية المادية فآثره مباشر واضح . وإن أوروبا ما اكتسبت من الثقافة الإسلامية إلا عن طريق إسبانيا .

وعادة تغطية وجوه النساء كانت تمارس حتى وقت قريب في إحدى مناطق [ألمريا] و [قسابس] . ومن سالف العادات أيضاً كان جلوس النساء على الأرض . وقد سادت هذه العادة حتى القرن الثامن عشر .

ويقول الأديب الأسباني الكبير [سيميّر فانتيس] في روايته [دون كيشوط] إن [سانشوبانثا] كان يأمل أن تجلس زوجته في الكنيسة على القنائف والمخدات .

وقد استخدم الأسبان وما زالوا كلمة [رِب] أكثر من الشعوب الرومانيقية الأخرى . وما زال أهل الريف الأندلسي يقولون حتى اليوم [في سلام الله] وهي مأخوذة عن العربية .

وعلى العموم إن التأثير الإسلامي بارز في العلم والفلسفة والتصوف والإلهيات وغيرها .

□ المفردات العربية التي دخلت اللغة الأسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الأسباني .

التأثير يبدو واضحاً في أعماله الشعرية . فقد استعمل الاستعارات والمجازات متأثراً بابن خفاجة وابن الرزاق . كما استعمل المفردات العربية في شعره . بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك . إذ جاهر بعروبته . كان عندما يُسأل : من أين أنت ؟ يجيب . أنا من مملكة غرناطة . ويقول أيضاً : إن العربي نحمله في نواتنا . ومن أقوال [بابلو شيرودا] فيه : « إن لوركا نتاج عربي أندلسي . فقد غنى للأندلس مشيداً بتاريخها وعاداتها وفضائلها وفضلها على الحضارة الغربية » . [مانويل ماتشادو MANUEL MACHADO ١٨٧٤ - ١٩٤٧ م]

من الشعراء الأندلسيين الذين بعثوا في القصيدة الأسبانية نفساً جديداً من غير أن يجردوها من روحها المتميزة بالإيقاع الموسيقي وبتراقص الكلمات والعبارات مع الأحلام والعواطف . كان مانويل ماتشادو يفخر بأصله العربي العريق ويأسف لكسوف مجدهم وزواله عن الأندلس . يقول في قصيدة [الدُفلى] :

أنا مثل أولئك القوم الذين وفدوا إلى أرضي
- إنني لمن الجنس العربي صديق الشمس التليد -
أولئك القوم الذين غنموا كل شيء وفقدوا كل شيء
وروحني من طيب ذاك العربي الأندلسي .

ولقد غنى ماتشادو وأنشد للشعب . فأعرب عن همومه وآماله وحبه ومرحه بأسلوب رقيق . وترك ثروة من الأمازيج والموشحات الشعبية . ما تزال الشفاه تتناقلها في كل ربوع الأندلس . وأضفى على الأغنية الشعبية جمالاً ورونقاً . واتجه اتجاهاً عربياً في شعره وفي حياته .

وختاماً نقول : إن التأثير العربي في الأدب الأسباني قديم وعريق تمتد جذوره إلى القرون الوسطى . وما زالت فروعه تنمو إلى يومنا هذا . رغم تعصب بعض المستشرقين الأسبان الذين يحاولون أن يوقروا في الأذهان . أن الحضارة التي قامت بالأندلس هي حضارة إسبانية خالصة . ولو أنها قامت في كنف الإسلام . بدعوى أن العلماء والأدباء والفنانين كانوا مواطنين إسبانيين . انقطعت الصلة بينهم وبين العرب الفاتحين : وأنه لم يكن هناك تآثر بالحضارة العربية . إن التنكر للفترة العربية من تاريخ إسبانيا يفرض على الأسبان إعادة كتابة تاريخ إسبانيا من جديد .

زال الفخر والحماسة والغزل هي الأغراض الشعرية المحبوبة الماثورة .. أما في القصة السردية . فعلينا أن نقول : إنها كانت حتى بداية هذا القرن متأثرة بالخيال العربي . ويتجلى التأثير الأدبي بصفة واضحة فيما يلي :

[ملحمة السيد القمبيطور] EL POEMA DEL CID CAMPERDOR
وتعتبر أول وأعظم ملحمة إسبانية كتبت باللغة القشتالية . ويتضح من اسمها والفاظها وأحداثها أنها كتبت على نمط السير العربية . ملحمة مادتها الحرب والنزال والشجاعة والبطولة . [الحب المحمود] LIBRO DE BUEN AMOR
لكاهن مدينة هيتا [شرقي مدريد] [١٢٩٥م -
١٢٥٢م] .. عبارة عن قصيدة طويلة . تضم قرابة ألفي بيت من الشعر . وتدور في جوهرها حول فنّ الحب المحمود . ويرى المفكر الأسباني [اميركو كاسترو] أن الكتاب يقدم لنا مجتمعاً متأثراً بالتقاليد الإسلامية إلى حد كبير . وكتاب الحب المحمود نسخة من كتاب [طوق الحمامة] لابن حزم . وقد وقف كثير من المثقفين الموضوعيين عند التأثير العربي على نحو أو آخر في الحب المحمود . ويرى [إميليو غارسيا ثوموث] أن هذه الأخيرة تلقي في نقاط كثيرة ومثيرة مع كتاب ابن حزم .

[المقامات وروايات البيكارسك] :

يرى العلامة [هاملتون جب] « أن رواية البيكارسك الأسبانية تبدي بعض التشابه مع المقامات العربية في صيغتها وسياقها » . ويرى المستعرب الأسباني [غونثاليث بالبنتيا] في كتابه (تاريخ الأدب العربي الأندلسي) « أن التشابه بين المقامات العربية ورواية البيكارسك أمر يثير العجب » .

وتعتبر رواية [لاثاريجو دي طورميس LAZARILLO DE TORMES] أول رواية بيكارسيكية . ظهرت عام ١٥٥٤م . ويجب الإشارة كذلك إلى مدى تأثير كتاب [المخلاء] للجاحظ في بعض روايات البيكارسك بصورة لا تترك شكاً في وجود تأثير عربي واضح في هذا الفن الأدبي . [لوركا والتأثير العربي في أدبه] GARCIA LORCA
[١٨٩٨ - ١٩٣٦] .

يقترن اسم لوركا بالشعر اقتراً ملازماً يدعمه الاخلاص . هل تآثر لوركا بالثقافة العربية ؟ يقول الدكتور محمود صبح : « هناك مواضيع عربية في آثار لوركا فعلاً . لقد تآثر لوركا كثيراً بالثقافة العربية . وهذا